محاضرة حول:

نظرية الفينومينولوجيا

(الظاهراتية)

تمهيد:

الظاهراتية أو الفينومينولوجيا هي مدرسة فلسفة تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبرتنا الواعية) ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها. غير أنها لا تدعي التوصل لحقيقة مطلقة مجردة سواء في الميتافيزيقا أو في العلم بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم.

حيث تظهر أهمية التوجيه النظري والنظرية عامة في البحث السوسيولوجي. وظهور العديد من النظريات سواء في جزئها التقليدي (الكلاسيكي) ، أو الجزء الحديث (المعاصر) وكذلك التطور المستمر الذي تعرفه النظرية الظاهراتية، والتباين الفكري والايديولوجي الذي تنطلق منه. وعليه سوف نتناول مايلي:

النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية):

مصـــطلح فينومينولوجي phénoménologie مصـــطلح اغريقي مقســم إلى جزئين phainomenon :وتعني الشـيء الظاهر، logos وتعني دراسة أو علم . بمعنى دراسة الأشياء الظاهرة.

الظاهراتية هي مذهب فلسـفي يعتبر بأن المعرفة الإنسانية مقتصرة على الظواهر والأشـياء الظاهرة. وهي عبارة عن طريقة لوصـف الأشـياء الموجودة فعلا كجزء من العالم الذي نعيش فيه.

تهتم الظاهراتية بوصـف وتحليل الحياة اليومية، والتركيز على ما هو ملاحظ وملموس من الظوا هر .كما ركزت على الصـفات الاجتماعية الفريدة الحدوث أثناء عملية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فهي تهتم بمعنى الظواهر والأشياء.

الظاهراتية هي مدرســة اجتماعية اســتخلصــت من الفلســفة الظاهراتية التي تركز بشكل معمق على تحليل ووصف الحياة اليومية بما يشــاهد ويلمس منها أي تعنى بالظواهر المرئية والمحســوســة والملموســة المقترنة بأحداث الحياة البشـرية الملتصـقة بالمشـاعر والأحاسـيس. لقد نفذت هذه الدراسة من قبل تصنيف الأحكام حول البناء الاجتماعي الذي لا يعمـل على وضــع احتمـالات حول الوجود أو النفوذ النســبي للبنـاء الاجتماعي إنما يحاول الإجابة على كيفية تبلور الظاهرة، كما أنّ فكر هذه

المدرسة أخذ منحى من السياق النقدي نحو المنهج الوضعي في علم الاجتماع.

مبادئ النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية):

- تهتم النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) بالفعل الاجتماعي وتركز على التفاعلات الداخلية للعقل البشري والمعاني التي تتشكل لدى الفاعلين حول واقعهم الاجتماعي.
- تهتم النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) أيضا ببنية المعنى التي تتشكل بين أفراد المجتمع الواحد.
- تؤكد النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) على أنه يجب فهم كيف يعطي الناس معنى لعالمهم وأفعالهم.
- تركز النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) على الشعور وتستخدمه كمفتاح لفهم معاني الأفعال.
- تؤكد هذه النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) على أهمية الخبرة الشخصية للإنسان والتي من خلالها يمكن له فهم وإدراك حقائق الأشياء.
- لا تولي النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) اهتماما كبيرا للنظام الاجتماعي.

- إن إدراك العالم يتوقف على الوعي ولا يتحقق فهم أي موضوع إلا بمقدار الوعي به.
- ترفض النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) فصل الظواهر عن الشعور.
- لا يهتم الفينومينولوجيون كثيرا بوصف أفعال الناس بل يهتمون كثيرا بمحادثات الفاعلين الاجتماعيين ورواياتهم عن أفعالهم وشعورهم بما يحيط بهم.
- الظواهر الاجتماعية هي مجموعة من المعاني وفهمها يتطلب فهم تلك المعاني.
- لا تهتم النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) بالتفسير والبحث في العلاقات السببية بل تعطي أهمية كبيرة لفهم الظواهر
- لا تولي النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) أهمية كبيرة للسياق التاريخي للظواهر الاجتماعية.
- تهتم النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) بوصف ظواهر الوعي.

ترفض الفينومينولوجيا تبني مناهج العلوم الطبيعية وتطبيقها على الظواهر الاجتماعية وترفض المماثلة بين الكائن الحي والظاهرة الاجتماعية.

تؤكد النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية) على صعوبة الفصل بين العالم الاجتماعي وأساليب وطرق فهمه.

المنهج الفينومينولوجي:

لقد أسس الاتجاه الفينومينولوجي لمنهج جديد يستدرك فيه على المنهج الوضعي الذي يتعامل مع الظواهر المحسوسة التي يمكن ملاحظتها فقط، ويعتبر العالم كائن موضوعي مستقل عن وعينا ووجوده خارج تصوراتنا.

يقتصر المنهج الفينومينولوجي على الدراسة الوصفية للظواهر الاجتماعية كما توجد في وعي وإدراك الفاعلين الاجتماعيين دون الاستناد إلى مرجعيات نظرية أو وضع فرضيات مسبقة عن الواقع الاجتماعي ويصبح التركيز على الحياة اليومية للفاعلين وتفسيراتهم ومقاصدهم أهم ما يمكن الاعتناء به، بالإضافة إلى البحث في الطرق والأساليب ومختلف العمليات التي يستخدمونها في تشكيل عالمهم الاجتماعي.

اعتبر هوسرل أن الظاهرة الجديرة بالبحث هي الكيفية التي يتم بها تشكيل الواقع الاجتماعي.

وعليه تصبح الملاحظة بالمشاركة والمقابلة أهم الأدوات المنهجية في البحوث الفينومينولوجية.

مفاهيم النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية):

تركز النظرية على مفهومها الأكبر " التخلل الذاتي أو الذوات المتداخلة.

التخلل الذاتي:

يقصد بها أن تداخل ذوات الفاعل، لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد، بل يتطلب حضور الأخر أولا وطرح أفكار وأراء يتم نقاشها ثانيا، وتبادل التفاعل بينهم ثالثا (ساعتها يحصل تبادل المشاعر بينهم حبا أو كرها إعجابا واستعلاء)، من ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل والحضور، وكل هذه الأمور يجب أن تتم في زمنية فترة زمنية معينة وبقعة جغرافية معلومة الأبعاد، عند إذا نستطيع أن نقول لقد حدث التخلل الذاتي.

النمذجة:

هي حكم ذاتي يتضمن معايير ذاتية–اجتماعية، تعكس تأثيرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفاعل، وعلاقاته المتنوعة مع زملائه وأصدقائه وأقاربه، وأهدافه الثقافية.

وبإختصار النمذجة هي حكم ذاتي على سلوك الناس الذين يتفاعل معهم، فبواسطة التخلل الذاتي يستطيع الفاعل تشكيل نموذج فردي

جماعي يضم صفات المتفاعل معه، يختزل فيه سيرته الذاتية أو سماته الشخصية أو نمط تفكيره ؛ أي يصفه بصفة تفسره، مثلا السمات التي عثر عليها فيه، كان يصفه بأنه طيب القلب أو حسود أو كريم ...الخ.

"والتي تعني إجابات عن التساؤلات الآتية:

- ❖ كيف نعرف أفكار الآخرين ؟
- ❖ كيف نعرف أنفسنا ؟
- ❖ كيف يتم تبادل رؤانا و إدراكاتنا مع الآخرين ؟
- ❖ كيف يحصل التفاهم المشترك بين المتفاعلين ؟
- ❖ كيف يتصل الفواعل فيما بينهم ؟

معنى ذلك أن تداخل ذوات الفاعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولا، و طرح أفكار و آراء يتم نقاشها ثانيا وتبادل التفاعل بينهم ثالثا (ساعتها يحصل تبادل المشاعر بينهم حبا أو كرها، ودادا أو بغضا، إعجابا أو استعلاء) و من ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل و الحضور.

بتعبير آخر يشترط حضور الآخرين حيوية مفعمة بوساطة نقاشه معهم واستماعهم له ومحادثته إليهم وتفاعلهم معه في فترة زمنية معينة وبقعة جغرافية معلومة الأبعاد، آنذاك يتبلور التخلل الذاتي.

الحياة اليومية: يشير المفهوم إلى الطريقة التي يعيش ويمارس الناس من خلالها حياتهم الاعتيادية، وتتضمن معرفة الذات، وكيف يبني الناس تصوراتهم للعلاقات مع الآخرين.

نقد النظرية الفينومينولوجيا (الظاهراتية):

على الرغم من أن الفينومينولوجيا جاءت لاستكمال ما قصرت فيه الوضعية في دراستها الفرد والمجتمع إلا أنها عجزت عن تقديم نظرية متكاملة عن المحتمع أو الفاعل الاجتماعي، لهذا يمكن اعتبارها منهجية أكثر من اعتبارها نظرية. بمعنى آخر يمكن اعتبارها علم اجتماع المعرفة وليس نظرية اجتماعية.

هناك غموض كبير في المفاهيم التي ابتكرتها للتحليل كمفهوم الحياة اليومية ومفهوم الاختزال الفينومينولوجي للمعرفة.

إن المنهجية التي تبنتها الفينومينولوجيا في فهم الظواهر الاجتماعية وتركيزها على الفرد ووعيه جعلها تواجه صعوبة في صياغة تعميمات نظرية حول الواقع الاجتماعي؛ لأن كل فرد له سيرته الذاتية الخاصة به.